مجلة "الأبعاد الخفية"
الصادرة في الكويت
عدد آذار ٢٠٠٨

من خلال مفهوم الإيزوتيريك

الحرية والاستقلال

بقلم: رانيا كفروني فرح
Raniafarah111@hotmail.com
www.esoteric-lebanon.org

شعوب الأرض قاطبة تتوق إلى السيادة والحرية والاستقلال. كل شعب يسعى أن يعبّر عن سيادته، وعن حريته واستقلاله على طريقته الخاصة، طبعاً كل بلد بحسب مستوى وعيه. فمستوى الوعي، هو ما يحدد فهم إنسان تلك الشعوب لمعنى السيادة، مغزى الحرية وهدف الاستقلال..

إذا ما نظرنا نظرة شاملة لما يجري في العالم، لوجدنا أنه باسم إحقاق السيادة، وخلف تحقيق الحرية ونيل الاستقلال، تخاض الحروب على أنواعها (اقتصادية، عسكرية، نفسية..).. دماء تُراق..عيون تدمع.. شعوب تباع.. أراض تغتصب.. ثروات طبيعية تنتهك.. وإنسان يهوي.. وكأن مصيره سلعة أو ضريبة الحرية والاستقلال!

كل ذلك وأكثر، لماذا؟ أمن أجل السيادة، أم الحرية أو الاستقلال؟!

تُرى ما هي السيادة؟! هل هي كلمة تردد على الشفاه أم أنها مفهوم إنساني يجب أن يمارسه المرء على نفسه أولاً؟!

السيادة الحقة تُترجم عملياً من خلال أفعال الإنسان.. هي التحكم بالنزوات الشخصية والرغبات الخاصة والترفع عن الأنانية والمآرب الفردية التي تضرّ بالمرء نفسه وتقوّض حياته قبل أن تسيء إلى الآخرين. هذه السيادة التي يمارسها المرء على نفسه أولاً ومن ثم يتوسع في ممارستها من خلال التعاطي مع الآخر، فالعائلة، فالمجتمع، وهي التي تتعاطاها الدول فيما بينها حيث كل دولة تحترم سيادة الأخرى.

وماذا عن الحرية؟! فهل مصيرها أن تبقى مجرد كلمة فاقدة المعنى وفارغة المضمون ترددها الشفاه عبر الشعارات الرنانة؟! أليس للحرية بُعد ومعنى أعمق من ذلك؟!

تفيدنا علوم الإيزوتيريك في كتابها «محاضرات في الإيزوتيريك (الجزء الثالث)» بقلم الدكتور جوزيف مجدلاني، بأن: «الحرية لا تعطى بل تحقق. الحرية لا تمنح بل واجب كل إنسان أن يسعى إليها ويناضل من أجلها عبر اكتسابه الوعي، وعبر ارتقائه بالوعي. هذا وكلما اكتسب المرء مزيداً من وعي، اتسع مدار الحرية أو نطاقها، وصارت حريته أكثر شمولية. فالحرية كالاستقلال، نضال وعي ومسؤولية كفاح!».

وطبعاً ما يصح عن حرية الفرد ينطبق على حرية الشعب - الكل كمجموعة أجزاء. فعندما يتطور وعي الشعوب في ظل وعي إنسانها، تتوسع حينها مدار حريتها وبالتالي استقلاليتها.

وماذا عن الاستقلال؟!

هل هو حق لكل شعب ولكل إنسان؟ وكيف يتحقق؟

إنّ الأحداث المتتالية التي تشهدها بعض الشعوب ليست سوى شهادة حية على اغتصاب كل معاني الاستقلال المنشود. اغتصاب يتكرر يوماً بعد يوم عبر اقتسام الأرض والتقاتل في سبيل تملكها.. عبر تجاهل كل الأنظمة والمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية.. والأسوأ عبر ابتعاد المرء عن أخيه الإنسان والتصارع معه في معركة عنوانها «عدم المشاركة والتعايش في وطن واحد»... ومن ثم ينادون بالاستقلال ويطالبون به.

فما هو هذا الإستقلال الذي يدفع المرء الى إلغاء الآخر ويسلبه سعادته؟!

هل هذا هو مفهوم الاستقلال؟!

هنا.. لا بد من التذكير بما ورد في كتاب «الإيزوتيريك يثقف ملكاً» من سلسلة علوم الإيزوتيريك، حول مفهوم الاستقلال:

«الاستقلال مفهوم مقدس للحرية - وليس تكابراً أو غروراً أو تفرداً بالرأي. وما دام الإنسان أسير نزواته وأسير رغباته ومعتقداته، لن يعرف معنى الاستقلال الحقيقي أبداً! وما دام هو منفتح الذهن، مترفع عن أنانيته ومآربه الشخصية، فهو يحيا الحرية والاستقلال، حتى وإن كان وراء القضبان! فالاستقلال الحق هو استقلال الوعي عن اللاوعي!».

خلاصة القول: لا يبدو أن ثمة وجود للسيادة الفعلية، ولا للحرية المطلوبة، ولا للاستقلال المنشود من دون التوعية إلى هذا الوعي الإنساني الذي يتضمن، لا بل يستوجب تنظيم ذاتي يبدأ على مستوى الفرد ويتوسع في المجتمع فالوطن. كما ويتطلب رؤية واضحة لهدف نبيل يخدم المصلحة العامة والخير العام. هدف مبني على مبدأ «تطوير الإنسان أولاً»، بعيداً كل البعد عن معادلة «الغاية تبرر الوسيلة».

ختاماً أستشهد بعبارة بليغة اقتطفتها من كتاب «الإيزوتيريك يثقف ملكاً»:

«ما كان الملك يوماً ملكاً على أرض، بل على شعب.. لأن المكان فان، أما الإنسان فخالد!

المكان مادة، والمادة إلى زوال..

والإنسان روح، والروح خالدة مدى الأزال...».

السيادة الحقة تُترجم عملياً من خلال أفعال الإنسان.. وهي التحكم بالنزوات الشخصية والرغبات الخاصة